

خطاب صاحب الجلالة

بمناسبة عقد مناظرة التعليم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

حضرات السادة :

إن أهمية هذه المناظرة لا تخفى عليكم إذ يعلم الكل منكم الاهمية التي تعلقها كل دولة متبصرة واعية على شؤون التعليم. إن التعليم أصبح أكثر من ذي قبل تجهيزا ضروريا وأساسيا لكل دولة أو لكل مجموعة بل لكل قارة أرادت أن تخرج بنفسها وبسكانها من طور التخلف إلى طور التقدم العلمي والتقني والمعماري وقد ادرك المغرب ولله الحمد منذ قرون بعيدة هذه الأهمية حيث أنه — إن أغفل مرات ومرات في تاريخه — وإن كان أغفل بعض جوانب التقدم فهو لم يغفل أبدا ولم يغفل قط الجانب العلمي والجانب الثقافي إذ كان يرى أن الثقافة والعلم والتعليم هما أساس كل إشعاع وأساس كل عمران، فلا فائدة في غزو مسلح ولا فائدة في غزو تقني أو مادي إذا لم يكن مبنيا على تراث علمي وتقني وحضاري يمكنه أن يدوم ويستمر بعض القرون والسنين.

وإن والدنا المنعم محمد الخامس رحمه الله كان يعلم هذا حق العلم إذ أول ما بدأ به في حملته ضد الاستعمار هو تدعيم التعليم وبناء المدارس فكان يعلم رحمه الله أن الاستقلال والحرية رهينان بالتعليم والثقافة وكان يعلم حق العلم رحمه الله أن الدولة الجاهلة لا يمكنها أن تغزو الزمان وأن تغزو النكبات لتستمر في انتصارها بعد أن تنتصر إذا لم تكن عالة متعلمة.

إلا أن مشاكل التعليم قد تكاثرت وتضاعفت وتباينت وخلال مدة محاربتنا لنيل الاستقلال كان هدفنا الأول هو تعليم الناس كيفما كان التعليم لأن التعليم كان وسيلة لبعث الوعي الوطني.

وفعلا قام التعليم بهذه المهمة إذ نور الاذهان وفتح الأفكار ولكن بعد أن نلنا الاستقلال وبعد أن صرنا دولة محفوفة بدول مستقلة وبعد ان اصبحت قارتنا قارة غنية ماديا وفقيرة ثقافيا وجب علينا أن نراجع كل ما اكتسبناه ونراجع مخططاتنا حتى نجعل من التعليم أداة للتجهيز لأنها الاداة الضرورية التي إذا صلحت صلح الجيل كله وإذا فسدت فسد الجيل كله.

فمنذ الاستقلال وضعت أمام المغرب اختيارات في جميع الميادين ولم يكن ميدان التعليم إلا ميدان اختبارات واختيارات متناقضة ولكن في هذا الميدان كما في جميع الميادين اختار المغرب أن يسلك الطريق الصعبة وأن يواجه المشاكل عوضا عن الطرق السهلة فمن ثمة رأينا أن عدد السكان يتزايد كل سنة تزايدا يبلغ ثلاثمئة ألف شخص، فكان من الممكن أن نختار من بين هؤلاء الاطفال وأن نجعل التعليم اقطاعا يمكننا من الاختيار الاجباري حتى نعلم بعض أولادنا ونترك الآخر جاهلا.

ولكن قررنا أن نعمم التعليم وأن نجعل جميع أبنائنا يتمتعون بحق التعليم رغم قلة المدرسين والمدارس والمواد وكلكم يعلم ما تتحمله الدولة من مجهود مادي ومعنوي ورغم ذلك قررنا ان ندخل للمدرسة كل سنة جميع

التلاميذ الذين يمكنهم أن يتابعوا دراستهم ولكن في هذا الاختيار نفسه وجد المغرب نفسه أمام اختيارات اخرى في نطاق هذا الاختيار وإذا كانت بلادنا — ولله الحمد — قد أحسنت الاختيار بتعميم التعليم، فتعميم التعليم وتوفير التعليم لجميع المواطنين هو حق نحس به ونريد تحقيقه وجاء الدستور واقره نهائيا إذ نص عليه فصل من فصوله «أن التعليم والشغل حق لجميع المواطنين».

فإذا كنا أحسنا الاختيار في إعطاء التعليم لجميع أبناء المواطنين فهل أحسنا الاختيار داخل هذا الاختيار ؟ بشجاعة علينا أن نعلم ونعترف أننا لم نحسن الاختيار دائما وأبدا هل لقصور في أذهاننا ؟ أم لتجاهل لمشاكل الدولة ؟ أم لغش في أنفسنا ؟ أم لأننا لم نحط علما تماما بجميع المشاكل الباطنة والظاهرة المباشرة وغير المباشرة التي تتصل بالتعليم فنرى ذاخل هذا التعليم تضاربات ربما أدت إلى خلق بلبلة وإلى خلق تشويش في الأذهان بل ربما خلقت عدم الطمأنينة في اذهان المواطنين إذ ربما أصبحوا يتساءلون ماذا سيكون مصير أبنائهم.

فنرى أن التعليم الاصلي يتجاذب التلاميذ والتعليم العصري يتجاذب التلاميذ كان التلميذ الذي يقرأ هنا أو هناك سيصبح مغربيا إن درس هنا وسيصبح غير مغربي إن درس هنا ونجد التعليم التقني لا يفهم حاجيات البلاد بل البلاد تتجاهل التعليم التقني ونرى المعلمين لا يتوفرون ماديا على مالهم من حقوق، ولا يتوفرون معنويا دائما على ما هو واجب لهم، وصرنا نرى أن أبناءنا أصبحوا ضحية لهذه التناقضات فكان لزاما علينا أن نجتمع يوما ما ونضرب للتعليم موعدا حتى نكون على موعد مع التاريخ الموعد الذي ضربناه اليوم لتخطيط فلسفة التعليم ولتخطيط براج التعليم هو الذي سيمكننا ان نضرب موعدنا المعهود مع التاريخ حتى لا يفوتنا الركب بل حتى نكون في مقدمته.

في شهر رمضان الاخير جمعت حولي بعض المكلفين وبعض الساهرين على التعليم فقلت لهم : إنكم تنسون دائما أن المادة الخام هي الطفل فتتجاذبونها، كأن الطفل ينقسم في ذاته وفي روحه إلى ثلاثة أقسام : إبتدائي. ثانوي. عالي. والحقيقة أن المادة الخام التي يعمل بها وفيها المعلم مادة لا تتغير ولا تتجزأ من الدراسة الابتدائية إلى التعليم العالي فلماذا توضع اقسام البرامج بمعزل عن كل طور آخر ونرى مثلا قسم التعليم الابتدائي يضع البرنامج ويتجاهل ما هي حاجيات وواجبات التعليم الثانوي ومن ثم نرى التعليم الثانوي يعمل وحده كان لا تعليم بعده وكأن الطفل الذي يدفعه إلى الكلية أو الجامعة هو طفل آخر بشخصية أخرى وبعبقرية أخرى ومصير آخر بل ربما كاد ينتشله من ماضيه ويقطع بينه وبين الماضي ذلك الحبل الرابط فقلت لهم : عليكم أن تراجعوا خطتكم وطريقتكم وعليكم أن تعلموا ان الطفل مثل المادة الخام تدخل المصنع وتخرج منه ولكن ماذا نريد أن نجعل من أطفالنا وأبنائنا ؟ هل نريد أن نجعل منهم مثقفين بدون تقنية ولا تخصيص أم نريد أن نجعل منهم تقنيين ومتخصصين بدون تثقيف أم نريد ان نجمع بين هذا وذاك ونجعل من أبنائنا مثقفين اختصاصيين تقنيين.

يظهر أن هذا السؤال ليس في محله وأن الجواب بديهي، إننا كلنا نريد أن نجعل من أبنائنا مواطنين يتمتعون بالثقافة الاسلامية والحضارة ونجعل منهم تقنيين إختصاصيين يمكنهم أن يدافعوا عن انفسهم أولا داخل بلادهم وان يدافعوا عن بلادهم داخل قارتهم في هذا المستقبل الذي ان كان في القرن الماضي يقدر بعشرات القرون فإنه الآن يقدر بالسنوات بل بالشهور.

فمن ثم اعطيت شخصيا نظري وأعطيه الآن دون أن يكون لكم بمثابة تكليف وبمثابة أمر ولكن بالنسبة إلي أولا كمواطن وثانيا كشاب حاول أن يجمع طيلة دراسته بين الماضي والحاضر، حاول أن يجمع بين الازدواج



الذي لا يؤتر في شيء في شخصية المواطن ويجعله مغربيا مواطنا وطنيا، وبصفتي ملكا أرى من واجبي أن أعطيكم نظري وهل أنا إلا منكم إن غويتم ــ ولن تكونوا إن شاء الله من الغاوين ولكن سوف ترشدون وسوف أكون معكم إن شاء الله من الراشدين.

نظري شخصيا ان حصة الاوقات في الاقسام سواء كان في التعليم التقني أو العالي أو العصري أو الحر اصبحت غير كافية فإنني درست شخصيا مدة ثمان سنوات وكانت الحصة ما يفوق الخمسين ساعة في الاسبوع زيادة على برامج البكالوريا كانت حصة الأوقات المخصصة للعربية حصة القرآن من (الابتدائي إلى البكالوريا 2). الفقه. التوحيد. تاريخ المغرب. تاريخ الاسلام. النحو. الصرف. تفسير القرآن حصة تفوق ثلاثين ساعة وكان من المربين والمهذبين من يقول : اللهم إن هذا لمنكر إن أذهان هؤلاء الأطفال لا تطيق هذه الساعات، وكان والدي رحمه الله يجيب بكلمة واحدة : ان هذه الحصص سوف تكون لاذهان هؤلاء الأطفال بمثابة إمتحان على أن أعلم ماذا أمامي هل الجمادات أم اطفال أم رجال المستقبل ؟ علي إذن ان أمتحنهم وأن أبلوهم ! فعلينا إذن ان نمتحن ونبلو أبناءنا نحن لان في امتحانهم سوف يكون لهم نجاح المستقبل.

علينا أن نضاعف الحصص طبعا سيكون الجواب قلة المعلمين وقلة الاقسام أعتقد ان لقلة المعلمين ولقلة الاقسام دواء فعلينا أن نجده.

إن كل من أراد أن يصل إلى هدف عليه أن يفتح الطريق حتى يصل إليه فقد فتحنا في التاريخ القريب والبعيد طرقا أشد وأشق وأصعب من هذه الطريق فعلينا أن نفتح الطريق لهذه المشكلة.

فعلى أبنائنا أن يتثقفوا في التعليم الابتدائي والثانوي ثم إذ ذاك إذا خرجوا للتعليم العالي كانوا متدربين على تثقيف وعلى تهذيب وكانوا إذ ذاك جديرين بأن يكونوا من أولئك الخريجين للكليات والجامعات الذين على كواهلهم وعلى سواعدهم سيبنى مستقبل البلاد لأن التعليم بدون تهذيب هو من أكبر الموبقات، ويمكنني أن أقول أن رسول الله (ص) لو علم هذا لجعل التعليم بدون تهذيب من الموبقات، ولجعلها ثمان موبقات لا سبع موبقات، لأن العالم المتواضع كسنبلة القمح كلما امتلأت حبا انحنت ومالت، ولكن كلما خفت تطاولت وتعجرفت وتجاهلت مشاكل إخوانها ومواطنيها وأصبحت تعيش وحدها، لا تنفع نفسها ولا ذويها ولا مواطنيها.

فإذا نحن اخذنا على أنفسنا أن نجعل من أبنائنا في التعليم الابتدائي والثانوي مهذبين، دون أن نتناسى أو نتجاهل التعليم الذي سوف يؤهلهم للدخول إلى الجامعة، وإذا نحن خصصناهم وجعلنا منهم تقنيين في التعليم العالي أمكن لنا إذ ذاك أن نجمع بين التثقيف ونجمع بين التخصيص.

ولكن هناك مشكلة أخرى وهي مشكلة التعليم التقني، مشكلة التعليم التقني عليكم ان تباشروها بجد لاسباب متعددة وربما السبب الواحد أهم الاسباب ربما غفل عنكم هو أن كل دولة أرادت أن تبني مستقبلها على التعادل الاقتصادي وعلى الاشتراكية المنصوص عليها في الدستور، وعلى الديمقراطية عليها أن تجعل دائما بين المسيرين، وبين الجماهير قنطرة أو جسرا يمكن بواسطته التفاهم.

وفي ميدان العملة تنقصنا هذه النظرة فنرى مثلا الجماهير الكادحة من جهة والقمم المسيرة من جهة ولا نرى قنطرة نقابية عمالية بين القمة والقاعدة.

ومن سيكون هذا الجسر وهذه القنطرة ؟ هم العمال التقنيون الذين لهم نصيب من التقنية المحضة ومن



التعليم التثقيفي.

فعليكم إذن لمستقبل البلاد ولمستقبل التوازن الاجتماعي ولانجاح ثورتنا الديمقراطية في هذه البلاد عليكم إذن ان تعنوا بالتعليم التقني حتى نضع — كما قلت لكم — جسرا بين العمال ومسيريهم.

نعم إذا كنا دائما نرى ان المعلم كاد أن يكون رسولا وإذا كنا نردد على أسماعه إستقم يستقم تلاميذك وإذا كنا نعظه ونرشده ونوجه له اللوم مرارا وتكرارا، فعلينا الا نتجاهل حالته والا نجهل ما يتوق إليه. فانظروا إلى حفظ كرامة المدرسين والمعلمين على اختلاف مستوياتهم، وانظروا إلى حالتهم بعين الرضا وبعين الرفق سواء بالنسبة لهم أو بالنسبة لامكانيات الدولة.

وإني لارى هنا بينكم بعض العلماء الافاضل وأريد هنا أن أطمئنهم إلى أن الدين في هذه البلاد لم يصبح غريبا وإننا لا نقول لهم طوبى للغرباء بل إن الدين ولله الحمد — متشبث به جميع المغاربة كيفما كان مستواهم الثقافي والاجتماعي فليطمئنوا وليكونوا في راحة بال، لأننا نريد — في هذه المناظرة — أن نخرج ببرنامج يجعل ابنائنا يتقنون لغتهم ويكتبون بها ويعلمون بها دينهم حتى يعلموه ويدركوا تعاليم الله دون ان يكون هذا التعليم بمثابة حاجز بينهم وبين افاق التعليم العصري والحضارة العصرية.

وإذا نحن اتقنا حصص التعليم وإذا نحن وازنا بين ما نريد أن نعلمه للأطفال في الثانوي والابتدائي وبين ما علينا ان نلقنهم في التعليم العالي أمكننا أن نجعل من هذه الأمة أمة اسلامية عربية تعلم ما لها وما عليها دون أن تتجاهل الجوانب الأخرى للحضارة التي تحيط بها في كل جهة. علينا ان نعلم ان مشكلنا اليوم اصبح مشكلا صعبا لا لشيء إلا لأن لنا ماضيا فلو لم يكن لنا ماضي لسهل علينا أن نبني من لاشيء، ولكن يعز علينا أن نبني على الانقاض، لأننا لا نريد أن نجعل من ماضينا وحاضرنا وحضارتنا وتراثنا أنقاضا نبني عليها، علينا إذا ان نرمم من ثقافتنا وتعليمنا ما وجب ترميمه ونقوم ما أعوج منها وان نجعله قمينا بأن ينتج لنا أولئك الأطفال الذين نالوا من هذا التعليم حتى يمكنهم أن يعيشوا مواطنين داخل قارتهم التي لا تتكلم العربية في مجموعها.

إننا نعيش في قارة تتكلم الانجليزية والفرنسية. فهل نحن حملة الاشعاع والذين غزوا العالم شرقا وغربا نريد أن نتجمد ونريد أن نشد الابواب على انفسنا حتى لا تنفذ عبقريتنا وحضارتنا إلى الخارج، بل إننا نريد أن نعيد إلى حاضرنا ما تمتع به ماضينا فإذا نحن جعلنا من أبنائنا مواطنين يعيشون في بلدهم المسلم ولكن إذا أردنا أن نجعل منهم مواطنين يعيشون في قارتهم الافريقية التي تتكلم الانجليزية والفرنسية حتى يعيشوا في العالم باسره عيشة راضية وجدنا لمشاكلنا وللاختيارات الموجودة أمامنا وجعلنا من التعليم تعليما متوازنا يجعل منا مواطنين لبلادنا وللقارة وللعالم.

وآخر وصية أعطيها لكم عليكم ان تنسوا ذلك الجانب الذي يطغى على كل عربي عربي وهو البكاء على الاطلال وعلى الديار. عليكم أن تتناسوا الماضي وإلا تعددوا يوميا وتنتظروا كل مساء مع هذا الفريق وما جرى مع هذا الفريق وعليكم ان تتناسوا جميعا ما كان موضوع نقاش بينكم، فلستم تعملون لأنفسكم بل تعملون لاطفال لم يذنبوا ولم يكن لهم في اختياراتكم او في عدم اختياراتكم نصيب قليل ولا كثير، عليكم اذا ان تنسوا الماضي وأن تتجهوا إلى المستقبل وان لا تتفرقوا إلا إذا اتفقتم على نتائج. وسوف اتتبع شخصيا مناظرتكم هذه بواسطة الراديو وبواسطة الملاحظين من وزراء ومن أعضاء ديواننا وسوف لا أسمح لكم بالخروج من هذه القاعة إلا إذا خرجتم بنتائج يمكننا أن نضع لها تخطيطات حتى يصبح برنامجنا في السنة الدراسية المقبلة في اكتوبر



64. والله سبحانه وتعالى يهدينا ويلهمنا، لأننا نعمل في ميدان جعله من أقدس الميادين ألا وهو ميدان التعليم، وتنوير الافكار والاذهان، حتى نجعل من أبنائنا أبناء يتمتعون بالعلم والفضيلة الاسلامية في آن واحد والله المعين سبحانه وتعالى نرجو أن يوفقنا ويعيننا والسلام عليكم ورحمة الله

ارتجل بغابة المعمورة

الثلاثاء 1 ذي الحجة 1383 — 14 ابريل 1964